IUGJIS
Vol 24, No1, 2016, pp 182-203

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية

# الظاهرة الفِيلُولُوجِية في الدراسات القرآنية عند المستشرقين
# عرض وتحليل ونقد

**د. عبدالرزاق أحمد رجب[1,*]**

[1]قسم أصول الدين، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، اربد، الأردن

تاريخ الإرسال (2015/03/31)، تاريخ قبول النشر (2015/06/08)

**ملخص البحث**

تناقش الدراسةُ الظاهرةَ الفيلُولُوجيّة في الدراسات القرآنية عند المستشرقين، حيث عرّفت بمفهوم الفِيلُولُوجيا، وحددت نشأته، وكيف تطور من دراسة اللغات القديمة إلى نقد النصوص الدينية عند اليهود والنصارى، ثم تطبيقه على القرآن الكريم، ثم بيّنت أبرز الدراسات الاستشراقية التي سلكت الفِيلُولُوجيا منهجاً لها في دراسة الوحي القرآني، وأعقبت ذلك بنقدها وتقييمها. وذلك من خلال المنهجين الاستقرائي والنقدي. من أهمّ ما توصلت إليه الدراسة هو أن المنهج الفيلُولُوجِي قام بإسقاط النتائج التي خرج بها من نقد (الكتاب المقدس) على القرآن الكريم. وتوصي الدراسة بإعادة تقييم المراجع الاستشراقية التي ما يزال بعضها يحظى بالقبول والثناء، على الرغم مما تتضمنه من أفكار وتقريرات باطلة عن القرآن الكريم.

**الكلمات المفتاحية:** الاستشراق، الفيلُولُوجيا، القرآن الكريم.

# Philological Phenomenon in Quranic Studies in View of the Orientalists Display, Analysis and Critique

## Abstract

This study displays the philological phenomenon in Qur`an as it is shown by the Orientalists. The study tries to identify the term, and its beginnings. and how the evolution of the study of ancient languages to critique religious texts of the Jews, Christians, and then applied to the Qur`an. Then the study shows the most prominent Orientalist studies that followed philological approach in the study of the Quranic revelation. And the study reviews and evaluates their approach through both the inductive and critical methodology. The most important findings of the study is that the philological approach projected results that came out of critical (the Bible) on the Quran. However, the study recommends reviewing the Orientalist references, that some of them are still gaining acceptance and praise. Drawing attention to the viewpoint of Orientalists that includes untrue ideas and false concepts of the Qur`an, to reveal their fallacies of Orientalists.

**Keywords**: Orientalism, Philological, Holy Qur`an.

* البريد الالكتروني للباحث المرسل: arazzakrajabi@yahoo.com

**مقدمة:**

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:

فقد تكفل الله ﷻ بحفظ كتابه الكريم فقال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9]. وقد دأب المعارضون للقرآن منذ اليوم الأول الذي جُهر فيه على الدعوة إلى الصدّ عنه، والافتراء عليه كونه معجزة النبوة، وبرهان الإسلام، وحجة الشريعة الأول؛ لأنه يحمل دليل الصدق في ذاته، فكان أكثر الطعن متوجهاً إلى أسلوبه الذي هو جوهر الإعجاز ومادته، يريدون بذلك النيل منه. وخَلَفَ من بعدهم خلفٌ من المستشرقين من مدارس شتّى لم يخرجوا عن خط المعاندين السابقين وأهدافهم في الهجوم على القرآن – موضوعاً وأسلوباً – ولكنهم سلكوا مسالك مختلفة، ونهجوا مناهج متنوعة يبغون تحقيق ما سلف من أهداف المعارضين.

وتنوعت مناهج المستشرقين في دراسة القرآن الكريم بين الافتراضي، والروائي الانتقائي، والنفي، والمنهج الإسقاطي، وكان من أخطر هذه المناهج ما يُسمّى بالمنهج الفيلُولُوجِي الذي كان يُركز بحثه على دراسة النص القرآني في لغته وأسلوبه ومادته كونه يمثل في ذلك إعجازه وبرهان صدقه أمام خصومه ومعانديه.

تناقش هذه الدراسة هذا المنهج من حيث مفهوم الفِيلُولُوجِيا ونشأتها وتطورها، وأخطر الدراسات الاستشراقية التي سلكت المنهج الفِيلُولُوجِي في دراستها للأسلوب القرآني، ثم نقده وبيان عوره من جهتي المستشرقين أنفسهم، ثم من جهة تحقيق القول في ضعف هذا المنهج ومخالفته لحقائق التاريخ والواقع، ثم مناقضته لأصول البحث العلمي.

**مشكلة الدراسة:**

ما أثر المنهج الفِيلُولُوجِي عند المستشرقين على الدراسات القرآنية ؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الآتية:

ما المراد بمصطلح الفِيلُولُوجِيا؟، ومتى نشأ؟، وكيف تطور؟

ما أبرز الدراسات الاستشراقية التي طبقت المنهج الفِيلُولُوجِي في دراسة القرآن الكريم؟

كيف يردّ على المنهج الفِيلُولُوجِي في الدراسات الاستشراقية التي طبقته، وعلى أولئك الذين ينادون بإحيائه مرّة أخرى سواء أكان هذا من بعض الباحثين الغربيين، أم العلمانيين من الحداثيين العرب؟

**أهمية الدراسة:**

تظهر أهمية الدراسة من خلال ما يأتي:

1. عدم وجود دراسة متخصصة قامت ببيان خط تطور مفهوم الفِيلُولُوجِيا حتى وصوله إلى مرحلة نقد القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، والردّ عليه.
2. على الرغم من تراجع حدّة الاستشراق في الوقت الراهن إلا أن صدى الفِيلُولُوجِيا ما زال موجوداً عند من ينادي بنقد القرآن خاصة عبر ما يُسمّى بـــ (إعادة قراءة القرآن) سواء أكانوا من الغربيين أم من بعض دعاة الحداثة[1].
3. هو المنهج الذي سيطر على أغلب أخطر الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم في لغته وأسلوبه.

[1] انظر: تاريخ القرآن، تيودور نولدكه (XXI/1).

**أهداف الدراسة:**

تهدف الدراسة إلى ما يأتي:

1. بيان مصطلح الفِيلُولُوجيا، وتحديد نشأته، وبيان مراحل تطوره.
2. بيان أبرز الدراسات الاستشراقيّة التي طبّقت المنهج الفِيلُولُوجِي في دراسة القرآن الكريم في لغته وأسلوبه.
3. الردّ العلمي وبأسلوب موضوعي على المستشرقين الفِيلُولُوجِيين، ومن ينادون بإحياء مناهجهم فيما يُسمىّ بـــ (إعادة قراءة القرآن الكريم).

**الدراسات السابقة:**

لا يوجد – حسب علم الباحث– دراسة أفردت لمعالجة هذا الموضوع، والردّ عليه. ولكن توجد دراسة قام بها محمد خليفة حسن بعنوان (دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس)[2] حيث تركز الدراسة على مسالة التأريخ لتطبيق علم نقد الكتاب المقدس على التوراة والإنجيل. وتزيد هذه الدراسة عليها أنها تبيّن كيف كانت البدايات الأولى لمصطلح الفِيلُولُوجِيا وصولاً إلى تطبيقه على النصوص الدينية في التوراة والإنجيل، ثم تطبيق هذا كله على النص القرآني باعتباره نصّاً أدبيّاً لا يختلف كثيراً عن النصين التوراتي والمسيحي؛ لاعتقاد هؤلاء الفِيلُولُوجِيين أنه مقتبس منهما، وبالتالي تعميم النتائج التي خرجوا بها من نقد التوراة والإنجيل وإسقاطها على القرآن الكريم، وتزيد الدراسة أيضاً في توسعها في الردّ على هذا المنهج من خلال كتابات المستشرقين الذين عارضوا النقد الفِيلُولُوجِي، وأظهروا سلبيات تطبيقه، ومن ثمّ تقويمه ونقده عبر إبراز عَورِ وتهافت الأسس التي ادعي العمل بها في تطبيقه على القرآن الكريم.

**حدود الدراسة:**

تتحدد الدراسة في بيان كيف تطور مفهوم الفِيلُولُوجيا إلى مرحلة تطبيقه على الوحي القرآني، وفي الكتابات الخاصة لأبرز الدراسات الاستشراقية التي استخدمت هذه المنهجية في نقد القرآن الكريم في لغته ونظمه، وأسلوبه وموضوعاته.

**منهجية الدراسة:**

يستخدم الباحث المنهجين الاستقرائي والنقدي، وذلك باستقراء ما كتبه أخطر المستشرقين الفِيلُولُوجيين حول لغة القرآن الكريم وأسلوبه، ثم نقده بشكل علمي وموضوعي.

واتبع الباحث أيضاً في منهجية البحث الخطوات الآتية:

1. تخريج الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.
2. التعريف بالمصطلحات الدينية والاستشراقيّة.
3. الترجمة لمن وردت أسماؤهم من المستشرقين.
4. في طريقة التوثيق إن كان الكلام اقتباساً فإنه يوضع بين علامتي تنصيص، وإن نقل بالمعنى فإنه يوضع بين علامتي تنصيص ويكتب في الحاشية (انظر)، وان كان اختصاراً فإنه يوضع بين علامتي تنصيص ويكتب في الحاشية باختصار.

[2] دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، محمد خليفة حسن (ص:10 وما بعدها).

**خطة الدراسة:**

تكوّنت الدراسة من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة. والمباحث هي: المبحث الأول: الفِيلُولُوجِيا (المصطلح والنشأة والتطور) وفيه مطلبان، المطلب الأول: التعريف بمصطلح الفِيلُولُوجِيا، والمطلب الثاني: نشأة مصطلح الفِيلُولُوجيا وتطوره، والمبحث الثاني: أبرز الدراسات الاستشراقيّة الفِيلُولُوجِية حول القرآن الكريم وفيه أربعة مطالب، المطلب الأول: الدراسة الفِيلُولُوجِية حول النصوص القرآنية للمستشرق تيودور نولدكه، المطلب الثاني: الدراسة الفِيلُولُوجِية حول النصوص القرآنية للمستشرق الإنجليزي وليام موير، المطلب الثالث: الدراسة الفِيلُولُوجِية حول النصوص القرآنية للمستشرق المجري اجنتس جولدتسيهر، المطلب الرابع: الدراسة الفِيلُولُوجِية حول النصوص القرآنية للمستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير، والمبحث الثالث: نقد المنهج الفِيلُولُوجِي في دراسة القرآن الكريم وفيه مطلبان، المطلب الأول: نقد المستشرقين للمنهج الفِيلُولُوجي في دراسة القرآن الكريم، المطلب الثاني: نقد الفِيلُولُوجيَا في دعوى أن لغة القرآن وأسلوبه يدلان على نظرية النشوء والارتقاء فيه. وخاتمة تضمنت أهمّ النتائج التي توصلت إليها الدراسة والتوصيات.

## المبحث الأول: الفِيلُولُوجِيا (المصطلح والنشأة والتطور)

### المطلب الأول: التعريف بمصطلح الفِيلُولُوجِيا:

يعتني هذا العلم (الفِيلُولُوجيا – Philologie) بدراسة التغيرات اللغوية عبر التاريخ[3]، "ويتكون هذا المصطلح – الذي يقابل فقه اللغة عند الغربيين– من لفظين إغريقيين أحدهما Philos بمعنى الصديق، والثاني Logos بمعنى الخطبة أو الكلام؛ فكأن واضع التسمية لاحظ أن فقه اللغة يقوم على حب الكلام للتعمق في دراسته من حيث قواعده وأصوله وتاريخه"[4].

ولم يقف الأمر في إطلاق هذا المصطلح على دراسة اليونانية فقط، بل تعداه ليطبق على دراسة أيّة لغة أخرى ذات طابع حضاري، فَعرّف بأنه " دراسة لغة من اللغات من حيث قواعدها وتاريخ أدبها ونقد نصوصها، وقد يُطلق ويراد به أيضاً دراسة الحياة العقليّة ومنتجاتها على العموم في أمّة ما، أو طائفة من الأمم"[5].

وإذا كان مصطلح الفِيلُولُوجِيا قد غلبَ في الاستشراق على فقه اللغة[6]، "فإن هناك ثمّة تباين بين مدلول فقه اللغة عند علماء اللغة العربيّة، وبين مدلوله عند المستشرقين، فإنه عند علماء العربيّة علم تطبيقي يتناول جميع المباحث التي تمتّ إلى اللغة بسبب سواء أكان ذلك في أصولها أم في فروعها أم في تاريخها. وأمّا المستشرقون فإن (فقه اللغة) الذي يسمونه Philology مقتصر عندهم على المباحث التاريخية التي تبين أصل اللغة ونشأتها وتطورها، والعوامل التي أدت إلى ارتقائها ونهوضها، فهم بذلك جعلوا منه علماً نظرياً بعيداً عن التطبيق"[7].

### المطلب الثاني: نشأة مصطلح الفِيلُولُوجيا وتطوره:

تعود جذور هذا المصطلح في الاستعمال إلى "الأيام التي أعقبت سقوط القسطنطينية أي في حوالي القرن الخامس عشر الميلادي حيث كانت النصوص الإغريقية اللاتينية أول النصوص التي خضعت للنقد والتمحيص، فقد أدّى سقوط القسطنطينية بكثير من علماء بيزنطة إلى اللجوء إلى غرب أوروبا. فأدخلوا معهم طرقهم في قراءة النصوص القديمة ما دفع كثيراً من الباحثين إلى دراسة هذا الأدب على نحو كبير عاملين على تكسير قيود التقليد التي جعلت سابقيهم يسلمون بكل ما خلفه الآباء من دون تمحيص أو تحرٍّ، كما أدّى بروز الحسّ النقدي لدى

---

[3] The American Heritage Dictionary, Margery Berube (633).

[4] دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح (ص:20).

[5] علم اللغة، علي وافي (ص:14).

[6] الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، هاشم صالح (ص:48).

[7] فقه اللغة وسرّ العربيّة، عبدالملك بن محمد الثعالبي (ص:10–11) باختصار.

كثير منهم نتيجةً لاطلاعهم على أبحاث الرحلات الاستكشافية للحضارات والأمم في الشرق والغرب، واتصالهم بالحضارة الإسلامية إلى تلاقح وتواصل فكري مثمر جدّاً"[8].

وتكاد الآراء تتفق في أن نشأة استخدام هذا العلم كانت مرتبطة باللغات القديمة، ففي حين ربطها الرأي السابق بالإغريقية واللاتينية القديمة، فقد "فطن بعض اللغويين إلى وجود علاقات تركيبية بين أفراد فصيلة من اللغات أطلقوا عليها اسم (اللغات الهندية الأوروبية) فأوضحوا الصلة فيما بينها بواسطة دراسات مقارنة أطلقوا عليها اسم الفِيلُولُوجِيا المقارنة Comparative Philogogy فظلّ مصطلح الفِيلُولُوجِيا مرتبطاً بمفهوم اللغات القديمة، واكتسب ظلاً جديداً بإضافة فكرة المقارنة إليه، في حين ربطها آخرون بداية هذا المفهوم بدراسة النصوص السنسكريتيّة القديمة"[9].

على أن هذا المصطلح الذي أصبح يعرف فيما بعد باسم علم اللغة اتجهت الدراسات المتعلقة به اتجاهاً آخر "لم يقنع الدارسون فيه بالنصوص القديمة والوثائق فقط، ولم يصبحوا مرتبطين بالقدم وحسب، وإنّما حاولوا تحليل النصوص إلى مقارنة الظواهر، ثم تخطوا الظواهر التاريخية بأن ضمّوا إليها وصف الأنظمة القائمة باللغات الحيّة"[10]. ومنذ أن ارتبط علم الفِيلُولُوجِيا بدراسة النصوص الإغريقية اللاتينية على وجه الخصوص "بدأ الاعتناء بالنص والوثيقة؛ لأنهما الشاهد الوحيد على الغائب من هذه الأمم، فأصبح – قبل التسليم بما ورد فيهما من شهادات – لا بدّ من التأكد أولاً من صحة المعلومات الواردة فيهما كالتأكد من صحة الوثيقة نفسها، ومن صحة نسبتها إلى صاحبها"[11]. ثمّ جرى تحول في مسار تطبيق الفِيلُولُوجِيا من دراسة النصوص الأدبية الإغريقية اللاتينية القديمة –على وجه الخصوص– إلى دراسة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وهذا ما قد يدفع بعض الباحثين للاستغراب، لكن الذي دفع لهذا التحول هو أن النظرة إلى الكتاب المقدس كانت على أساس أنه "نص أدبي؛ لاشتماله على ملاحم وأساليب أدبيّة عديدة. فكان من الطبيعي أن يلجأ اللاهوتي إلى المنهجين الفِيلُولُوجِي والتاريخي اللذين تميزت بهما دراسة الكتاب المقدس أو النقد التوراتي منذ القرن السابع عشر"[12].

ولم تكن مهمة أولئك الذين تحولوا بالفِيلُولُوجِيا من النصوص الأدبية في اللغات القديمة إلى الكتاب المقدس – لم تكن مهمة سهلة[13] حيث إنه "بذريعة كيف ينتقد المتصف بالنقص نصوص المتصف بالكمال وضع آباء الكنيسة حاجزاً في وجه كل من أراد نقد نصوص الكتاب المقدس لما يعلمون من كثرة الاضطرابات التي يعانيها هذا الكتاب التي تجعل أولئك الذين وكّلوا أنفسهم حراساً عليه لا يرغبون في أن يخضع للنقد؛ ليقينهم أن ذلك سينقص من قيمته ويظهر حقيقته، ومن ثَمّ ستفوت عليهم منصب الوصاية وما يدرُّ عليهم من أرباح فاشترطوا عدم خضوع الإيمان به للعقل"[14].

"وقد كانت حاجة الكتاب المقدس للنقدين التاريخي والفِيلُولُوجِي لا تقل عن حاجة التراث الإغريقي اللاتيني، بل كانت أكبر لمكانته نصّاً مقدساً منسوباً إلى الله عز وجل، ولقد كان للعمليات النقدية التي تعرضت لها النصوص الأدبيّة الإغريقية آثار علميّة هامّة إذ مكنت من التأكد

---

[8] تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكاليّة التقنين والتقديس (ص:23).

[9] علم اللغة العربية (مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية)، محمود فهمي حجازي (ص:265).

[10] المرجع السابق، (ص:266).

[11] تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكاليّة التقنين والتقديس، يوسف الكلّام (ص:24) بتصرف.

[12] المرجع السابق، (ص:25)

[13] وما يؤكد هذا أن فلهاوزن نفسه اضطر إلى ترك منصبه في جامعة جريفسفلد كأستاذ ذي كرسي بسبب ما أثارته كتاباته في نقد الكتاب المقدس، والتاريخ المقدس من مجادلات. موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي (ص:408).

[14] تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكاليّة التقنين والتقديس، يوسف الكلّام (ص:28).

من نسبة بعض النصوص إلى أصحابها، ونفي أخرى عمّن نسبت إليهم اعتماداً على ضوابط منهجية نقدية ثلاثة"[15]. وعند تطبيق هذه الضوابط على نصوص الكتاب المقدس "نجده قد اشتمل على تناقضات لا حصر لها باعتراف نقّاد كثر (مسلمين وغير مسلمين)، ومع ذلك لا زالت هذه التناقضات تنسب إلى الله تعالى، ثمّ إنه يتضمن أخطاء لغوية ونحويّة كثيرة، بالإضافة إلى ما يحتويه من نسبةِ أوصاف إلى الله تعالى لا تليق به، وتنافي صفات الكمال التي يتصف بها الرب عز وجل"[16].

وقد وضع فلهاوزن[17] وجراف[18] في حوالي عام 1880م الأسس الأولى لنظرية النقد العالي (نظرية الوثائق) في نقد التوراة، والنقد التوراتي هو "علم يسعى إلى تحديد طرق وصول النص إلينا، وتحديد قيمته، وفائدته الأدبيّة والتاريخيّة واللاهوتيّة. وتشمل نقد النص، والنقد الأدبي، والنقد التاريخي، والنقد الداخلي النقد الخارجي"[19].

"وقد بنيت نظرية الوثائق في نقد التوراة على الافتراضات الآتية:

1. حدث تطور في الدين من تعدد الآلهة إلى التوحيد. وعلى هذا تكون التوراة من إنتاج التطور الطبيعي للأحاسيس الدينية عند الشعب اليهودي. ولا دخل في ذلك للوحي الإلهي عن طريق الملائكة أو الروح القدس.
2. الأحداث المتعلقة في الكتاب المقدس بإبراهيم وإسحق ويعقوب (عليهم الصلاة والسلام) وسائر الأنبياء ليس لها أساس تاريخي، بل هي مجرد قصص وأساطير.
3. لم يكن موسى (عليه السلام) وبنو إسرائيل يعرفون الكتابة؛ لأنها لم تكن قد عرفت بعد.
4. لم يكتب موسى (عليه السلام) الأسفار الخمسة الأولى في التوراة سنة 1400 أو 1300 قبل الميلاد كما تقول التوراة والقرآن، ولكن كتبها أو جمعها كتاب مجهولون بعد ذلك بمئات السنين.
5. عدم الإيمان بالمعجزات التي أجراها موسى والمسيح (عليهما الصلاة والسلام)[20].

وقد توصل فلهاوزن وجراف إلى "الشك في تاريخ وثائق التوراة، بل إنّ صفحات التوراة تعطي نموذجاً كاملاً للتطور الديني، أي إنّ الدين عند بني إسرائيل قد خضع للتطور والارتقاء، وإنَّ عبارات تنسب فيها –أي التوراة – إلى إبراهيم (عليه السلام) تدل أنها قد كتبت بعد موسى (عليه السلام) بألف سنة"[21]. وكدليل حسّي على افتراضاته حول حصول التطور في نصوص التوراة فقد "أحصى فلهاوزن فترات ثلاث لتاريخ الديانة في بني إسرائيل في عصر العهد القديم، والحدثان اللذان يفصلان الفترات الثلاث هما ظهور الأنبياء الكبار والسبي البابلي، ثم توجه بعد ذلك لفحص الأسفار القانونية الموجودة في التوراة، وظهر له طبقات أدبيّة تلائم هذه المجالات طبقة طبقة لكل فترة في تاريخ الديانة"[22].

---

[15] "الضوابط هي: الأول: لا يمكن المؤلف صاحب المخطوط أن يكتب كلاماً بلا معنى، أو كلاماً متناقضاً. الثاني: لا يمكن المؤلف أن يؤلف كلاماً مخالفاً لقواعد اللغة التي يكتب بها. الثالث: لا يمكن أن يرد في النص تصريحات على لسان كاتبه مناقضة لما يفكر فيه، أو يظنّه، أو ممّا لا يعرفه أصلاً" المرجع السابق (ص32).

[16] انظر المرجع السابق (ص:32–33) باختصار.

[17] بدأ دراسة اللاهوت لنقد التوراة. وتخرج باللغات الشرقيّة على إيفالد في جوتنجين، فعدّ من أشهر تلاميذه، وخلفه فيها. من آثاره: تاريخ اليهود، ومحمد في المدينة. المستشرقون، نجيب العقيقي (724/2).

[18] دكتور في الفلسفة واللاهوت. تخرج باللغات الشرقيّة على فيشر من جامعة ليبزيج، ورحل في طلب المخطوطات الشرقية، ومراجعة المصادر إلى الشرق، وأقام في القدس وبيروت وأديرة لبنان. من آثاره: النصرانية في نصوص إسلاميّة. العقيقي، نجيب، المستشرقون، العقيقي (776/2–777).

[19] تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكاليّة التقنين والتقديس، يوسف الكلّام (ص29).

[20] The Quran and the Bible in the light of history and science, William Campell
http://answering-islam.org/Arabic/Books/Campbell/Science/index.html (pp43-44)

[21] المرجع السابق (ص:44) باختصار.

[22] تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، زالمان شازار (ص:144).

وتوصل فلهاوزن إلى نتائج ملموسة حول الافتراضات التي افترضها حول التوراة حيث أكدت هذه النتائج إنسانيّة النصوص الواردة فيه. وهذه الافتراضات وطريقة الفِيلُولُوجِيا التي أكدتها قد طُرحت من قبل فلهاوزن من خلال إبراهام بن عزرا[23] "الذي وجد مجالاً مترامي الأطراف لاتجاهه النقدي في مجال نقد النص. ولكونه من أفضل النحاة في العصر الوسيط ففي تصوره أن معرفة اللغة العبريّة ونحوها هما حجر الأساس لعلم العهد القديم؛ لذلك أكثر في تفاسيره من البحث الفِيلُولُوجِي الضروري الذي ألقى الضوء على التفاسير العبريّة"[24]، وتلقف سبينوزا[25] نتائج ابن عزرا في نقد العهد القديم حيث حمل على التوراة محللاً أسفارها، ومبيّناً نصيب كل منها من الصحة التاريخية" [26]. يقول سبينوزا: "كما أنه لا يمكننا فهم قوانين الطبيعة قبل أن نوضح لأنفسنا أحداث الطبيعة فكذلك لا يمكننا أن نصل إلى الرأي النهائي لأقوال العهد القديم قبل أن نكشف لأنفسنا أحداث تطوره"[27]. ثم طرح الأسئلة الآتية: بواسطة من أُلفت الأسفار الكتب المقدسة؟، ومتى أُلفت؟ وما هي صحة رأي الماسورا[28] التي تنسب كتابة كل سفر من الأسفار إلى البطل الرئيسي الذي يتحدث عنه العصر، وخرج سبينوزا بنتيجة أن موسى (عليه السلام) لم يؤلف أسفار التوراة الخمسة، وأنها لا تعود إلى عصره، حيث قال: "وبما أنّ العديد من المواضع في التوراة لا يمكن أن تكون كتبت بواسطة موسى (عليه السلام) – يفهم بدون تردد افتراض أن موسى (عليه السلام) ألّف كل أسفار التوراة ينقصه الدليل، ومناقض للعقل"[29].

ولأن النتائج التي خرجت بها دراسة فلهاوزن على النص التوراتي، ثم نقد الإنجيل بعد ذلك شكلت صدمة مدويّة عبّر أحد الباحثين المعاصرين في هذا المجال قائلاً: "استخدم هؤلاء –يقصد الفِيلُولُوجِيين – عاملي الأسلوب والأفكار اللاهوتية، وبدا جليّاً أن هذه النظرية تشكك في صحة وحي التوراة، ولو صدقت لكان العهد القديم خدعة أدبيّة كبيرة"[30].

ويهاجم في الوقت نفسه أصحاب هذه النظرية، ويحاول الاستدلال بالقرآن على صحة هجومه قائلاً: "لا يوجد أيّ برهان على صدق نظرية الوثائق، لا دليل من التاريخ، ولا من الإسناد، ثم إنّ نظرية الوثائق تفترض أنَّ كلَّ اليهود منذ أيّام موسى (عليه السلام) إلى زمن المسيح (عليه السلام) كانوا كذّابين ولم يكن فيهم واحد يخاف الله، فيحتفظ بنسخة سليمة من التوراة الصحيحة، ولكن القرآن لا يوجّه مثل هذا الاتهام ليهود مكة والمدينة إذ كان منهم مخلصون كثيراً في إيمانهم[31] وتقول سورة الأعراف –وهي من العهد المكي المتأخر–: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأعراف: 159]. وهذا الاستدلال من الكاتب في غير محله، "إذ الآية في أولئك الذين كانوا على الحق والهدى في زمن موسى عليه السلام وبعده، وفيمن بلغتهم دعوة النبي محمدﷺ وآمنوا به، وبرسالته"[32].

[23] فيلسوف إسباني، تنقل بين أوساط اليهود في فرنسا وإيطاليا، وهو من فحول شعراء العبريّة. يحمل ابن عزرا بشدة على الأخطاء التاريخية في أسفار التوراة الخمسة. موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، عبدالمنعم حنفي (ص:36–37).

[24] تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، زالمان شازار (ص:72).

[25] الفيلسوف الهولندي باروخ سبينوزا. هو أعظم من تصدّى لقومه بالنقد في أشهر كتبه (البحث اللاهوتي السياسي) مبيناً تهافت أسطورة الشعب المختار. تلّقى تعليماً دينياً في أول حياته، ثم اتجه إلى دراسة الفلسفة، وتأثر كثيراً بمنهج ديكارت. موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، عبدالمنعم الحنفي (ص:124 وما بعدها).

[26] المرجع السابق (ص:129).

[27] تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، زالمان شازار (ص:94).

[28] هي العهد القديم العبراني الموجود الآن. والنسخة الماسوريّة أعدّها جماعة من علماء اليهود في طبرية من القرن السادس إلى الثاني عشر للميلاد. قاموس الكتاب المقدس، عبدالملك بطرس وآخرون (ص:763).

[29] تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، زالمان شازار (ص:96).

[30] The Quran and the Bible in the light of history and science, William Campell (pp44).

[31] المرجع السابق (ص:54).

[32] في ظلال القرآن، سيد قطب (1381/3).

ولم يسلم الإنجيل كذلك من نقد نظريّة الوثائق حيث نشأت في ألمانيا فكرة نقد الصيغة اللغوية؛ لتحاول أن تحلل الإنجيل على أساس صيغه الأدبيّة كما فعلت نظرية الوثائق بتوراة موسى (عليه السلام). يقول كامبل: "يقول ناقدو الإنجيل: إن الإنجيل مؤلف من وحدات مستقلة وسلسلة أحداث مرويّة شفاهاً. وإنه في السنوات الثلاثين من صعود المسيح (عليه السلام)، وتدوين الإنجيل الأول تغيرت تلك الوحدات المستعملة، وأخذت صيغة الأدب الشعبي شأنها في ذلك شأن الخرافات والقصص والأساطير والأمثال، ولم يكن تكوين تلك الوحدات وحفظها تحت حكم الله بل تحت حكم احتياجات الجماعة المسيحية فعندما تواجه الجماعة مشكلة ما، كانوا يتذكرون مثلاً شائعاً من أمثال المسيح (عليه السلام)، أو يختلقون مثلاً من عند أنفسهم وهذا يعني أنهم افتروا على المسيح (عليه السلام) ما لم يقله؛ ليجدوا حلّاً لمشاكلهم الدينيّة"[33].

أراد المستشرقون الفِيلُولُوجِيون إسقاط النتائج التي خرجوا بها من النقد الفِيلُولُوجِي التاريخي لكتبهم الدينية على القرآن الكريم حيث كان هدفهم من الدراسة الفِيلُولُوجِية "إثبات أن القرآن يخضع لأثر البيئة، ويتطور بتطورها، وتنعكس فيه المصالح الاجتماعية والتوجهات السياسية"[34][35].

## المبحث الثاني: أبرز الدراسات الاستشراقيّة الفِيلُولُوجِية حول القرآن الكريم

في القرن التاسع عشر ازدهرت الحركة الاستشراقية بشكل عام، والدراسات الاستشراقية القرآنية بصورة خاصة، وبعد الصدمة التي شكلتها النتائج التي خرجت بها الدراسات الفِيلُولُوجِية التاريخية للكتاب المقدس –في الأوساط العلمية على وجه الخصوص– التي نفت عنها صفة القدسية، وأبطلت أن تكون بهذه الصورة وحياً إلهياً على الرغم من ذلك بقي أغلب المستشرقين على حالهم من التعصب الديني لليهودية والمسيحية، وسيطرة الدوافع النفسيّة على مصداقية أكثر دراساتهم. والذي يلاحظ أن الانتقال بالمنهجية الفِيلُولُوجِية من نقد الكتاب المقدس إلى دراسة القرآن الكريم لم تكن عامة عند جميع المستشرقين نظراً لصعوبتها، ثم لاستلزامها أن يجمع المستشرق في هذه المنهجية بين تخصصين أساسيين هما: التخصص في دراسات العهدين القديم والجديد، والتخصص في الدراسات القرآنية"[36].

وقبل أن ندخل في الدراسات التطبيقية التي قام بها المستشرقون الغربيون على القرآن الكريم من خلال الفِيلُولُوجِيا، يحسن بنا أن نوضح الأمور الآتية، التي كانت تتصل بصلب عملهم هذا:

**أولاً:** يبدو أنّ المنهجية التي اتبعها فلهاوزن في نقد التوراة من خلال تحديد فترات ثلاث ظهرت فيها فكرة النشوء والارتقاء في ديانة بني إسرائيل من خلال فحص (اللغة والأسلوب والمضمون)– قد أثرّت كثيراً بمن جاء بعده، وسلكوا منهجيته في الدراسات الاستشراقية القرآنية التي اتبعت المنهج الفِيلُولُوجِي التاريخي. ويمكن الحديث عن أربع دراسات استشراقية من مدارس أوروبية مختلفة، اختلفت في عدد الفترات التي قسم إليها القرآن الكريم، وتباينت في بعض محاور الدراسة لكنها كانت تلتقي في الأعمّ الأغلب في الخطوط المنهجية العريضة، وفي النتائج بصورة عامّة.

**ثانياً:** هذا التقسيم إلى فترات كان مقصوداً؛ لإثبات أن حصول تطور في الصيغ اللغوية، وفي أساليب التعبير، واختلاف الموضوعات، مع ما قرر لدى هؤلاء أن النص القرآني في مضمونه القصصي، بل في بعض العقائد والتشريعات إنما هو مقتبس منحول من غيره، وفي الأخص من المصادر الكتابيّة حيث ينجم عنه –حسب دعواهم– حقيقة واحدة تؤكد إنسانية ما يُدّعى أنه وحي إلهي، وإثبات الصفة البشرية التي تدخلت

[33] القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم، وليم كامبل (ص:45).

[34] العلمانيون والقرآن الكريم "تاريخية النص"، أحمد الطعان، (ص:530).

[35] انظر على سبيل المثال: تاريخ القرآن، نولدكه (1/ 79، 82، 96، 122، 155) والعقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر (ص:15، 19، 21).

[36] دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، محمد خليفة حسن (ص:5–6) باختصار.

عبر أطوار ومراحل متعددة قبل أن يستقر النص القرآني، ولعل هذا هو السبب الذي جعل هؤلاء يطلقون على أسماء كتبهم تعبيرات مثل (تاريخ القرآن، أو تاريخ الأدب العربي).

**ثالثاً:** أضف إلى ذلك أن بعضهم حتى يؤكد حقيقة أن القرآن لا تختلف النظرة إليه في الدراسة الفِيلُولُوجِية عن النص الكتابي كان يستخدم الوصف الذي من أجله تحولت الفِيلُولُوجِيا من دراسة اللغات الإغريقية اللاتينية القديمة إلى الكتاب المقدس بوصفه نصّاً أدبيّاً، فكان يُطلق على القرآن اسم (النص الأدبي)[37].

**رابعاً:** تركيز هذه الدراسات على أن تغيّر الأسلوب، وفحوى الخطاب كان مرتبطاً بالظروف التي انعكست على الوحي القرآني شكلاً وجوهراً في البيئتين المكيّة والمدنيّة، وهذا مرتبط بحرص أولئك المستشرقين على تقرير النتيجة التي يريدونها وهي أنّ هذا القرآن بهذا الحال لا يمكن أن يكون كتاباً إلهياً، وبذلك ترتفع عنه- في زعمهم- صفتا القدسيّة والإعجاز.

**خامساً:** ربطُ الدراسات الفِيلُولُوجِية القرآن الكريم في الفترات التي تطورت فيها سوره وآياته بالنصوص الكتابيّة عند اليهود والنصارى كمصادر له، وفيما يأتي تسليط الضوء على أربع من هذه الدراسات الفِيلُولُوجِية:

**المطلب الأول: الدراسة الفِيلُولُوجِية حول النصوص القرآنية للمستشرق تيودور نولدكه[38]**

وذلك في كتابه (تاريخ القرآن)[39] في الجزء الأول منه والذي حمل عنوان (في أصل القرآن). يقول مترجم الكتاب: "يعتمد نولدكه إضافة على الفِيلُولُوجِيا على الأحداث التاريخية التي تشير إليها بعض الآيات والسور، وبربطها ببعض بهدف تشكيل قاعدة تاريخية يمكن الاعتماد عليها في إعداد ترتيب زمني للسور والآيات يؤدي بدوره إلى فهمها بشكل أفضل"[40]، ويضيف أيضاً قائلاً: "حتى الجزء الأول- يقصد (في أصل القرآن) الذي قد يبدو أنّ فيه تجنياً على الإسلام ونبيّه، إنما هو قائم على دراسة فيلولوجيّة دقيقة لنص الكتاب العزيز"[41].

وقد قسم السور القرآنية إلى أربع فترات، ثلاث في مكة، وواحدة في المدينة، ولخص طريقته في دراسة السور القرآنية في محورين هما: الأول: "المراقبة الدقيقة لمعنى القرآن ولغته ونظمه، فالقارئ السطحي يدرك أنّ القطع ذات اللغة والأفكار المتأججة أقدم من القطع التي تعتبر هادئة وطويلة، ومحمد (ﷺ) لا يقفز بقفزة واحدة من الصنف الأول إلى الصنف الثاني بل ينتقل إليه تدريجياً، وما يُساعد أيضاً في هذا السياق هو طول الآيات، والحديث الإيقاعي العاطفي المسجوع يختلف عن الحديث في فترة متأخرة يميل بها الكلام إلى أن يكون نثرياً بحتاً"، والثاني: الاستفادة من النقل، ويقصد هنا من الروايات المتعلقة بالقرآن الكريم سواء أكانت أسباب نزول، أم روايات تفسيرية[42]. ثم يقول نولدكه: "نستطيع بواسطة الدراسة الدقيقة للوسائل التي يقدمها الحديث والقرآن أن نتوصل إلى معلومات كثيرة أكيدة حول نشوء الأقسام المفردة"[43].

ويزعم نولدكه "أنّ اختلاف أسلوب القرآن إنّما كان تبعاً لأوقات التأليف المختلفة؛ وليدلل على هذا الزعم فإنه وعد قارئه بأن يعالج هذه المسألة بإسهاب عند كلامه على فترات نشوئه"[44].

---

[37] انظر على سبيل المثال: العقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر (ص:16)، و تاريخ الأدب العربي، ريجيس بلاشير (ص:260).

[38] ولد في هامبورغ في ألمانيا من أسرة شغل أفرادها مناصب علمية وإدارية كبيرة، وعُرف عنه تضلعه من العربيّة واللغات الساميّة والإيرانية والتركيّة والحبشيّة والآراميّة، أتقن اليونانية والألمانية والفرنسية والإنجليزية والإسبانيّة والإيطاليّة. المستشرقون، العقيقي (379/2-380).

[39] هذا الكتاب كان في الأصل رسالة علمية أخذ بها نولدكه درجة الدكتوراه وكانت بعنوان (حول نشوء وتركيب السور القرآنية)، ثم نشرت بعد ذلك كتاباً باسم (تاريخ القرآن). المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، صلاح الدين المنجد (116/1).

[40] تاريخ القرآن، نولدكه، (كلمة المترجم) (XVI/1).

[41] المرجع السابق (XVIII- XIX/1).

[42] المرجع السابق (58/1-59) باختصار.

[43] المرجع السابق (60/1)، ويقصد بالأقسام المفردة الآيات التي تكوّن السورة.

[44] المرجع السابق (32/1).

وفيما يلي ملخص للدراسة الفِيلُولُوجِية التاريخية التي قام بها نولدكه على السور القرآنية حيث خلصُ من دراسة لغة القرآن، وأسلوبه إلى خصائص الفترات الأربع كما وردت لديه على النحو الآتي:

سور الفترة المكيّة الأولى: "الكلام مفعم بالصور الصارخة، والنبرة الخطابيّة تحتفظ بلونها الشعري الكامل، الآيات القصيرة تعكس الحركة الشغوفة التي تتقطع باستمرار بسبب تعاليم بسيطة وهادئة، الكلام بأسره زاخر بالقوة، ومحرّك إيقاعيّاً وذو جرس عفويّ جميل، ويظهر القَسَمُ، وأسلوبُ السجع الذي أخذه محمد (ﷺ) عن الكهَّان الوثنيين"[45].

سور الفترة المكية الثانية: "التأمل الهادئ حلّ محل الخيال العنيف، وصار أسلوب الكلام يغلب عليه الطابع النثري، ويحاول النبي أن يوضح جمله بواسطة أمثلة كثيرة مأخوذة من الطبيعة والتاريخ، لكنه يكدس الأمثلة بعضها فوق بعض، أكثر مما يرتبها منطقياً، فيجنح إلى الإطناب، ويصبح مرتبكاً مملاً، الطريقة التي يتبعها للخلوص إلى النتائج ضعيفة، وما يستنتجه لا يُقنع الخصوم، بل يخجلهم في أبعد حدّ بسبب التكرار الدائم"[46].

سور الفترة المكية الثالثة: "اللغة تصبح مطنبة، واهية، نثرية، التكرار الذي لا نهاية له، ولا يتورع النبي عن ترداد الكلمات نفسها تقريباً، البراهين التي تفتقر إلى الوضوح والحدة، ولا تُقنع إلا من يؤمن سلفاً بالنتيجة النهائية، والقصص التي لا تأتي إلا بالقليل من التنوع، كل هذا يجعل الآيات والسور مملّة في كثير من الأحيان"[47].

سور الفترة المدنية: يقول نولدكه: "إنّ الأمور الجديدة التي دخلت بعد الهجرة في دائرة اهتمامات محمّد (ﷺ) تعالج في السور، سببت فيها بالتأكيد اختلافات بالغة مقابل أسلوب الفترة المكيّة الأخيرة لكن هذا لا يلاحظ دائماً، فالتعابير والمصطلحات الجديدة تستعمل فقط حين تقتضي المادة ذلك، وهذا يظهر على أوضح وجه في الشرائع، ويُتجنّب في صياغتها كل تزيين خطابي، لكن محمداً (ﷺ) يبقى ملتزماً بالنظم الذي يتألف في أحيان كثيرة من زيادات فائضة تجعله عنصراً أسلوبيّاً مشوّشاً"[48].

ولم يقتصر إصرار نولدكه على إنسانيّة الوحي القرآني في كتابه (تاريخ القرآن)، بل إنّ له مقالة أصدرها بعنوان (The Koran) يقول فيها: "من الواضح أننا أمام طريقة بديهية للنبي من خلال عملية غير واعية، والتي ظهرت أفكاره من خلالها، وتشكلت تدريجياً في عقله"، ثم يضيف قائلاً: "الجزء الأكبر من القرآن وبدون شك هو نتيجة لدراسة متأنية لامستها بقدر ضئيل، أو كبير العاطفة وحرّكه ضوء البلاغة أكثر مما حرّكه الوهج الشعري، وسور كثيرة منه معتمدة بشكل كامل على التأمل العقلي"[49].

ومن خلال المنهجيّة الفِيلُولُوجِية النقدية التي طبقها نولدكه على سور القرآن الكريم كاملة في الفترات الأربع التي قام بها- أصبح وجهةَ الغربيين آنذاك في تلقي الفِيلُولُوجِيا على يده، أو التأثير بمنهجيته في مسالك وطرائق دراساتهم حتى في أولئك الذين كانوا يؤرخون للأدب العربي، ويعدّون القرآن الكريم أحد أشكال تطوره. وكان بروكلمان[50] أحد هؤلاء[51] فعلى الرغم من كونه كان مهتماً باللغات والتأريخ فإننا وجدناه يطبق هذه المنهجية على القرآن الكريم حينما كان يتحدث عن الأدب العربي فقال واصفاً القرآن: "كان النبي في أقدم مراحل دعوته

[45] المرجع السابق (68/1–69) باختصار.

[46] تاريخ القرآن، نولدكه (105/1) باختصار.

[47] المرجع السابق (128/1) باختصار.

[48] المرجع السابق (154/1) باختصار.

[49] The Koran, Theodor Noldeke (pp55-56).

[50] تخرج باللغات الساميّة على أعلام المستشرقين مثل نولدكه، وصارت له شهرة فائقة في فقه العربية وقراءاتها قراءة صحيحة، وكتابتها كتابة سليمة، وفي التاريخ الإسلامي، وتاريخ الأدب العربي. المستشرقون، العقيقي (424/2).

[51] انظر: موسوعة المستشرقين الألمان، عبدالرحمن بدوي (ص:58).

الدينية يطلق ما يدور بخلده، وهو صادق الاستغراق والغيبوبة في جمل مؤثرة يغلب عليها التقطع والإيجاز، وتأخذ طابع سجع الكهان، واحتفظ النبي أيضاً بهذا القالب الكلامي. بعد ذلك حينما أخذ يترقى باطراد من طبيعة الغالب المستغرق إلى طبيعة الداعية الواعظ، فكان يتلو في جمل أطول من الأولى تحذيراته وتعليماته التي حفّت كثيراً بالقصص من العهد القديم ومن الهجادة[52]"[53]. ويقول أيضاً: "ولما كانت الروايات لا تقدم نقاطاً أكيدة يعتمد عليها في التأريخ المتسلسل لحياة النبي في مكة، فإن خصائص الأسلوب وحدها تأذن بتقسيم السور المكيّة إلى ثلاث مجموعات، وتقع وسطاً بين أقدم هذه السور وأحدثها سورة الرحمن، ومما يزيد من عسر تقسيم هذه السور ما يبدو صريحاً من أنّ جمّاع القرآن جمعوا بعض السور من قطع مختلفة كانت في الأصل مستقلة على حين يظهر طابع وحدة التأليف في سور أخرى، ولا سيما في الأخبار والقصص. أما في المدينة حيث ترّقى النبي إلى مرتبة الحاكم وزاول عمل المشرّع فإن مواعظه وتشريعاته وان احتفظت بقافية السجع التي كثر مع ذلك عدم إحكام تناولها قد تحولت إلى نثر خالص كان على محمد (ﷺ) نفسه أن يبتكر أسلوبه على الرغم من أنه كان يعوزه استعداد لغوي خاص، كما كان يعوزه كل نمط من الجرس والتعليم، والسور المدنية تتصل بأحداث معينة نعرفها على وجه الدقة كثيراً أو قليلاً ومن ثم يمكن ترتيب الجانب الأكبر منها ترتيباً تاريخيّا متسلسلاً، وكثيراً ما تنطلق أنظار محمد (ﷺ) وتحذيراته في جدل عنيف مع اليهود والمنافقين بين أمته، وإلى جانب ذلك تصدر النظم والتعليمات في كل نواحي التشريع المتعلق بالعبادات والمعاملات والجنايات كما كانت تتطلبها حاجة الوقت"[54].

**المطلب الثاني: الدراسة الفِيلُولُوجِية حول النصوص القرآنية للمستشرق الإنجليزي وليام موير[55]**

وذلك في كتابين له، أحدهما في السيرة النبوية وهو (حياة محمد)، والآخر في القرآن واسمه (القرآن: نظمه وتعاليمه، وشهادته للكتب المقدسة)، وقد بيّن المحددات التي قام على أساسها بدراسة السور القرآنية، ومن ثم تقسيمها إلى فترات ستة خمس في مكة، وواحدة في المدينة. وهذه المحددات تتمثل "بالجموح والعاطفيّة في العهد الأول، والنثرية والقصصية في العهد الثاني، والسلطوية الآمرة في الأخير، وفيما بعد يلاحظ تطور المذهب والقانون، والإدلاء بالحجة بغض النظر إن كانت موّجهة لوثني مكة، أو لليهود، أو للمسيحيين، أو إلى أهالي يثرب الناقمين، أو إلى المؤمنين المضطهدين، أو إلى نفس المؤمنين المقاتلين المنتصرين. وفي النهاية ثمّة إشارات واضحة إلى معالم تاريخية حيث فيها معطيات معينة تعين زمن النظم خمس في مكة، وواحدة في المدينة[56].

ويرى موير أن دراسة أجزاء الوحي –يقصد السور– في فحواها وأسلوبها هي التي تلقي الضوء على الصراعات التي كان يواجهها محمد (ﷺ) داخليّاً –أي نفسيّاً– وخارجياً[57]؛ ولهذا خرج بقسمة مختلفة عن نولدكه حيث قسّم السور القرآنية إلى فتراتٍ ستة، خمسة كانت في مكة، وواحدة كانت في المدينة[58]:

---

[52] الهجادة أو الأجادة لفظ آرامي يستخدم للإشارة إلى الفقرات أو القطع التلموديّة التي تعالج الجوانب الأخلاقية، أو القصصيّة الوعظية أو الأدعية وغيرها، وهي لا علاقة لها بالجوانب القانونية أو التشريعيّة، وتتسم القصص الأجادية بالمبالغة الأسطوريّة، والمعاني الغريبة. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبدالوهاب المسيري (36/2–37).

[53] تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان (138/1).

[54] المرجع السابق (138/1–139).

[55] تعلم الحقوق في جامعتي جلاسجو وأدنبرا، وعلّم في أدنبرا حيث امتاز هناك بمحاضراته، وامتاز أيضاً بخدماته التي أدّاها للهند، وعيّن أميناً عامّاً لحكومتها، ثم اختير رئيساً لجامعة أدنبرا. العقيقي، المستشرقون، العقيقي (59/2).

[56] The Coran its composition and teaching and the testimony it Bears to the Holy Scriptures, William Muir (pp27).

موقع: Muhammedanism.com/ Arabic/ default.htm

[57] The life of Mohammad From Original Sources, William Muir (pp70).

[58] القرآن نظمه وتعاليمه، وشهادته للكتب المقدسة، ويليام موير (ص:29 وما بعدها).

الفترة الأولى: وهي ثمان عشرة سورة حماسيّة، وبعضها مُؤلَّفٌ من سطرٍ أو اثنين. وربّما قد نُظمت قبل أنْ يكونَ لدى مُحَمَّدٍ (ﷺ) تصورٌ عن الرسالة الإلهيّة، أو نزول الوحي إليه مباشرةً من السماء، وليس لأيّ منها صيغة رسالة من الإله.

الفترة الثانية: استهلال نبوة محمد(ﷺ).

الفترة الثالثة: من بدء نبوة محمد (ﷺ) العامة إِلى الهجرة للحبشة.

الفترة الرابعة: من السنة السادسة إِلَى السنة العاشرة من نبوّة محمد(ﷺ).

الفترة الخامسة: من السنة العاشرة لنبوة محمد (ﷺ) (في فترة إزالة المقاطعة عن المسلمين) إِلى الهجرة من مكة.

الفترة السادسة: السور المنزلة في يثرب.

وسماتُ القرآن في الأسلوب التعبيري، والمضمون تتشابه في المجمل عنده مع غيره، فالقرآن في بداياته الأولى كان يتصف بالحماسة الزائدة، والتسرع العاطفي، ثم أخذ الأسلوب يهدأ تدريجياً، ويميل إلى اللغة النثرية. وصارت السور تميل تدريجياً إلى الطول، وبدا على نظرية الوحي أنها أصبحت أكثر تطوراً إذ صارت تتلاءم مع التغيرات والحاجات آنذاك. ورجع للأسلوب حيويته ولكن هذه المرة بفضل القصص الكتابيّة والحبْريّة، والروايات المحليّة. وإذا كانت السور الطويلة في آخر إقامة النبي في مكة تتميز بالحديث عن العلاقة مع الدين المسيحي، فإن سور الفترة المدنية أبانتْ عن العلاقة السيئة المتبادلة بين محمد (ﷺ) واليهود[59].

**المطلب الثالث: الدراسة الفِيلُولُوجِية حول النصوص القرآنية للمستشرق المجري اجنتس جولدتسيهر[60]**

والفِيلُولُوجِيا كانت هي المنهج الذي ابتدأ به جولدتسيهر دراساته الشرقية من خلال أستاذه فَلَيشَر[61] الذي وصف بالممتاز في الناحية الفِيلُولُوجِية[62]. وهذا النهج الفِيلُولُوجِي نجده حاضراً فيما زعمه جولدتسيهر عن الإسلام بشكل عام، وعن الأسلوب القرآني بصورة خاصة إذ ادّعى في كتابه (العقيدة والشريعة في الإسلام[63]) تحت موضوع (محمد والإسلام) "أن اكتمال نموّ الإسلام إنما كان نتيجةً لتأثيرات تكوّن بعضها باعتباره تصوراً وفهماً أخلاقياً للعالم، وباعتباره نظاماً قانونيّاً وعَقِيديّاً حتى أخذ شكله السّني النهائي"[64]. ويدّعي جولدتسيهر أيضاً أنّ نوعين من التأثيرات والقوى هما اللذان يؤديان بالعمل إلى النمو والنضج، وهما: القوى الداخلية الذاتية، والقوى والتأثيرات الروحيّة التي ترد عليه من الخارج تضيف إليه ثروة جديدة، وتساعده على أن يسير في طريق التطور[65]، ويدّعي أن حالة التأملات، والاستغراق في الرؤى التي عاشها النبي، إضافة إلى الأفكار التي استقاها من العناصر اليهودية والمسيحية قد أوصلته إلى درجة من اليقين صار يعتقد فيها أن هذه التعاليم التي جاءته بتأثير خارجي هي وحي إلهي، وأنه نفسه هو أداة لهذا الوحي[66].

(59) The life of Mohammad, Muir (pp70, 97,143,327).

(60) مستشرق مجري. تخرج باللغات الساميّة على كبار أساتذتها في بودابست وليبزيج وبرلين وليدن، وصحب الشيخ طاهر الجزائري مدّة في سوريا، ثم تركها إلى فلسطين، وتضلع بالعربيّة على شيوخ الأزهر، وكانت له مكتبة أربت على أربعين ألف مجلد في العلوم والفقه والفلسفة والفنون والعلوم. المستشرقون، العقيقي (40/3-41).

(61) مستشرق ألماني درس اللاهوت، وتعلم العربيّة والفارسية والتركية، وعمل أستاذاً للغات الشرقية في جامعة درسدن، وعُرف في ألمانيا بأنه مؤسس الدراسات العربية المنظمة وعميدها. المستشرقون، العقيقي (362/2).

(62) موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي (ص:198).

(63) قال الشيخ محمد الغزالي: "والحق أنّ هذا الكتاب من شرّ ما أُلّفَ عن الإسلام، ومن أسوأ ما وُجِّهَ إليه من طعنات" دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي (ص:2).

(64) العقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر (ص:10).

(65) المرجع السابق (ص:10-11) باختصار.

(66) المرجع السابق (ص:12) باختصار.

ثمّ يتحدث عن أثر (البيئة) في تغير أسلوب القرآن فيميز بين ما جرى في العصر المدني عمّا كان في العهد المكي قائلاً: "إن العصر المدني قد أدخل تعديلاً جوهريّا حتى في الفكرة التي كوّنها محمد (ﷺ) عن طابعه الخاص ففي مكة كان يشعر أنه نبي يتمم برسالته سلسلة رسل التوراة، وأنّ لهذا عليه – مثل أولئك للرسل– أن يقوم بإنذار أمثاله في الإنسانية، وإنقاذهم من الضلال. أمّا في المدينة وقد تغيرت الظروف الخارجيّة فقد تغيّرت مقاصده وخططه واتجهت اتجاهاً آخر كذلك بحكم تلك الظروف الخارجة. ولا غرو فقد وجد في بيئة تختلف عن بيئة مكة فكان هذا مما جعله يرفع إلى المقام الأول مظاهر أخرى من مظاهر رسالته النبوية"[67].

ثم يخرج بالنتيجة التي أرادها من هذا كله ليميز لنا بين فترتين كان القرآن في نظمه اللغوي وأسلوبه ومضمونه متبايناً ومتنافراً؛ ليعكس فكرة التطور في الوحي القرآني، وأنه كان نتيجة تأثيرات ذاتية متعلقة بالنبي محمد (ﷺ)، وخارجية من البيئة المحيطة به. يقول جولدتسيهر: "وبديهي أنّ التغير الذي حدث في الطابع النبوي لمحمد(ﷺ) قد أثّر في أسلوب القرآن وشكله الأدبي، فمنذ أقدم روايات الكتاب قد ميّز بحق بين العنصرين، فبين المائة والأربع عشرة سورة التي يشملها الكتاب مُيّز تمييزاً واضحاً بين السور المكية والسور المدنية. والبحث النقدي والبلاغي للقرآن يبرر هذا التمييز التاريخي بوجه عام، ففي العصر المكي جاءت المواعظ التي قدّم فيها محمد(ﷺ) الصور التي أوحتها إليه حَمِيَّتُه الملتهبة في شكل وَهْمي خيالي حادّ تلقائي ذاتي. وهو في هذا العصر لا يُسمع صَلْصَلَةَ سيفه، ولا يتحدثُ إلى محاربين، أو رعايا سالمين، بل يُظهر لجموع معارضيه ومُناقِضيهِ قضية العقيدة السائدة في نفسه عن قوة خالق العالم وربّه وسلطانه غير المحدود، وعن اقتراب يوم الحساب الذي يتمثله ويراه في الرُّؤى الوَحْيِيّة فينتزعه من رَاحَتِه انتزاعاً، وهو يعلن عقاب الماضين من الطغاة والشعوب الذين قاوموا نُذَرَ الله (ﷻ) التي جاءتهم بألسن رسلهم وأنبيائهم. لكن حمية النبوة وحدّتها أخذت في عِظات المدينة والوحي الذي جاء بها تهدأ رويداً رويداً حيث أخذت البلاغة في هذا الوحي تصبح خفيفة شاحبة، كما أخذ المُوحَى نفسه ينزل إلى مستوى أقلّ بحكم ما كان يعالجه من موضوعات ومسائل، حتى لقد صار أحياناً في مستوى النثر العادي"[68]. ويزعم أيضاً قائلاً: "ويجب ألا يفوتنا الإشارة إلى أن القوة الخطابية في القرآن أخذت تفترُ حَمِيَّتُهَا برغم استعمال السجع في أجزاء القرآن التي نزلت بالمدينة كما في الأجزاء الأخرى المكيّة لقد كانت السور الأولى في النزول على الشكل الذي تعوّد الكهان القدماء وضع نبوءاتهم فيه، ولو جاء في شكل آخر لما رضي أيٌّ عربي أن يرى فيه قرآناً موحى من الله (ﷻ) على أن محمداً (ﷺ) قد أكّد أن جميع ما جاء به هو من الوحي الإلهي إلا أنه ما أعظم الفارق بين سجع السور المكية وسجع السور المدينة"[69].

**المطلب الرابع: الدراسة الفِيلُولُوجِية حول النصوص القرآنية للمستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير[70]**

وذلك في كتابيه (القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره)، و(تاريخ الأدب العربي)، فهو أحد أولئك الذين صرّحوا أنّ فقه اللغة –أي الفِيلُولُوجِيا– هي ممّا يُعين على اكتشاف معالم القرآن الذي يمثل انعكاساً لسيرة النبي محمد (ﷺ)[71].

وتأثره بالفِيلُولُوجِيا يظهر أيضاً حول ما عَنْوَنَ له عن القرآن في كتابه تاريخ الأدب العربي حيث ادّعى تحت عنوان (تكوين النص القرآني): "إنّ النص القرآني، في حاضره، أي النص المنتشر المعتقد لدى المسلمين لهو نتيجة إعداد بدأ في حياة محمد (ﷺ) ثم استمر ذلك الإعداد بعد وفاته على يد الخلفاء الراشدين، ثم الفقهاء والمفسرين طوال قرنين تقريباً، وإنّ الظروف التي اكتنفت تكوين النص القرآني لهي

---

(67) العقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر (ص:18–19).

(68) المرجع السابق (ص:21).

(69) المرجع السابق (ص:22).

(70) مستشرق فرنسي، تلقى دروسه الثانوية في الدار البيضاء، وتخرج بالعربية من كلية الآداب في الجزائر، وصار أستاذاً لكرسي الأدب العربي في مدرسة اللغات الشرقيّة بباريس، وأشرف على مجلة المعرفة التي صدرت في باريس باللغتين العربيّة والفرنسية. العقيقي، المستشرقون، العقيقي (309/2).

(71) القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، ريجيس بلاشير (ص:25).

غاية في الغرابة. وعلى الرغم من الرسالة التي بلغها النبي المسلمين، والتي تتخذ ذاتها صفة الوحي ذي المصدر الإلهي، فهي لم تحظ في كلها المتكامل على أنها كتاب مقدّس في حياة الرسول"[72]، وتحت عنوان (حاضر القرآن وقضايا مرتبطة به) يُفصح على أنّ القرآن إنما هو من إنشاء وعمل محمد (ﷺ)[73].

وأبدى بلاشير إعجاباً منقطع النظير بالدراسة النقدية التي قام بها نولدكه للسور القرآنية فبعد أنّ انتقد المحاولات التي سبقت نولدكه بقوله: "المحاولات الأولى قد عملت بسرعة على الكشف عن استحالة التوصل إلى إعادة ترتيب النص وهو على حالته الراهنة، ترتيباً دقيقاً وبموضوعيّة تامّة" ثم امتدح دراسة نولدكه قائلاً: "لكن (نولدكي) ونخبة من علماء الإسلاميات الألمان قد نجحوا في تحديد طريقة أخرى للبحث بفضل معالجتهم الجديدة للمسألة بكاملها في (تاريخ القرآن) الذي ظهر في سنة 1919 إلى 1938. لقد تنازل هؤلاء عن العلماء عن مطمحهم للاهتداء إلى تسلسل للنصوص القرآنية لا لبس فيه، فنجحوا في إعادة جمع هذه النصوص وفقاً لمراحل متعاقبة، حدودها بحسب الأسلوب من جهة وبحسب الموضوعات السياسية والدينية الموسعة في القرآن من جهة أخرى"[74]. ولهذا فإنه في الأعمّ الأغلب[75][76] لم يخالف نولدكه فيما ذكره حول منهجية ترتيب السور القرآنية حسب النزول من أجل إعادة قراءة النصوص وفق الأحداث التي نزلت بشأنها لمعرفة المؤثرات التي أثّرت في تأليفها وتكوينها، ثمّ ما جرى لها بعد ذلك من تحوير وتغيير؛ لنفي صفة الإلهية عن النصوص المنزلة، وإضفاء الصفة البشرية عليها في مراحل مختلفة مرّت بها.

وإذا كان بلاشير يتفق مع الاتجاه الفِيلُولُوجِي في تأثير القصص الكتابيّ في القرآن[77] إلا أنّ العجيب في الأمر عنده هو التفوق الجمالي لما يدّعى أنه هو المنحول – أي القصص القرآني– على ما يُزعم أنه هو الأصل والمصدر، حيث قال: "وإذا ما قورن القصص القرآني ببعض الفصول المشابهة في سفر التكوين المثقلة باللغو والاستطرادات ظهر أنّ القصص القرآني أعلى مرتبة بما لا يقاس فهو يتدرج برشاقة دون إشارات زائدة تسيطر عليه فكرة مواسية ألا وهي أنّ العادل ينتصر بإيمانه ووفائه"[78].

وفي العصر الحديث تعالت الأصوات من المستشرقين المعاصرين إلى إحياء فقه اللغة (الفِيلُولُوجِيا) مرّة أخرى، ويأتي على رأسهم جاك بيرك في كتابه (إعادة قراءة القرآن)، حيث أفصح على أن هذا العلم هو الذي ساعد على التمييز من خلال التعبير بين الفترة المكية والفترة المدنية، حيث يقسم الفترة المكيّة إلى فترة أولى للانبجاس بوصفها انحباساً للوحي ذات نبرة رؤويّة تتميز بوصف مذهل لنهاية العالم، وإلى فترة ثانية يتوسع الإيقاع فيها، ويصبح أكثر شرحاً، وأخيراً ثمة فترة ثالثة تأخذ السور فيها إراديّاً في شكل موعظة متوازنة، وتصطنع في بعض الأحيان توزيعاً يدور على ثلاثة أقسام. وأما سور المدينة فقد اتجهت عموماً نحو التشريع، وإن كانت الحماسة الوصفية الغنائية لم تغب قط عنها[79]. وأمّا الحداثيون العرب فإن ممّا يدل على تحمسهم لإحياء أمثال هذه الدراسات الفِيلُولُوجِية؛ لتقوية الدعوة لما يُسمّى بإعادة قراءة

[72] تاريخ الأدب العربي، ريجيس بلاشير (ص:236).

[73] المرجع السابق (ص:239).

[74] القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، ريجيس بلاشير (ص:26).

[75] ينظر كلام بلاشير حول خصائص السور القرآنية في الفترات التي سار عليها وفق نولدكه في: القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره (ص:45 وما بعدها)، وكذلك كتابه الآخر تاريخ الأدب العربي (ص:240 وما بعدها).

[76] خالفه في موضوع الادعاء بتقليد النبي أسلوب الكهان في سور الفترة الأولى كما زعم نولدكه، حيث يقول بلاشير: "ذلك أن خصوم محمد قد أخطؤوا عندما لم يشاؤوا أن يروا في هذا إلا أغاني حريّة وتعويذية. وبالرغم من أننا على علم استقرائياً فقط بتنبؤات الكهان فمن الجائز الاعتقاد مع ذلك بخطل هذا الحكم وتهافته". تاريخ الأدب العربي، بلاشير (ص:246).

[77] ينظر: القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، بلاشير (ص:56).

[78] تاريخ الأدب العربي، بلاشير (ص:46).

[79] إعادة قراءة القرآن، جاك بيرك، ترجمة وتعليق: منذر عياشي (ص:36–37).

النص هو مشاركة بعضهم في تقديم نصائح وصفت بـــ(القيّمة) في عملية تعريب كتاب نولدكه (تاريخ القرآن)، وهؤلاء هم نصر حامد أبو زيد، ورضوان السيد، ومحمود أيوب[80].

وظهرت دراسة فِيلُولُوجية بعنوان (قراءة سريانية آرامية للقرآن مساهمة في تحليل اللغة القرآنية) لأحد علماء اللغات الساميّة القديمة في ألمانيا وهو (كريستوف لوكسنبورج) حيث أبدى ارتياباً في مسألة نقاء القرآن من حيث كونه نصّاً عربيّاً خالصاً، وعريّاً عن المعضلات اللاهوتية والفقه لغويّة التي تعرضت لها تواريخ نقل النصوص المقدسة كالتوراة العبريّة برواياتها المختلفة[81]. وقد تبنى الكاتب المنهج الفِيلُولُوجِي[82] في بناء فرضية أسماها بـــ (قرآن أصلي) حيث يدعي أنّه استعملت عدّة تعابير سريانية في القرآن الكريم، أي أنّ القرآن قد حوى فقرات عديدة لم تكتب بالعربية أصلاً، وعلى هذا يكون القرآن قد كتب بلغة مزيجة جمعت بين العربية والآرامية[83].

هكذا هم من تعاملوا مع الفِيلُولُوجيا كمنهج في نقد القرآن الكريم قديماً وحديثاً لا يريدون أن يقرّوا أنّه كتاب سماوي نزل به وحي الله تعالى. وإنّما يبذلون جهدهم كلّه في صرف أنظار القرّاء إلى أنّه نص وضعه محمد (ﷺ)، وتفاعل في الوقت نفسه مع مجريات الأحداث من حوله[84].

## المبحث الثالث: نقد المنهج الفِيلُولُوجِي في دراسة القرآن الكريم

لم يختلف الفِيلُولُوجِيون كثيراً عن المستشرقين الآخرين في الدافع لدراستهم للقرآن الكريم من حيث كونه دافعاً دينياً ينطلق من تصور أن الوحي القرآني متأثر بالنصوص الكتابيّة. ولئن كان مصير نتائج المناهج الاستشراقية البحثية الأخرى كالإسقاطي والانتقائي هو التهافت فإن نتائج الدراسات الفِيلُولُوجِية لم تخرج عن هذا. لذا يمكن تقويم الفيلوجيا التي طبقت على القرآن الكريم ونقدها في محورين:

الأول: الاعترافات بالخطأ والتناقضات التي وقع فيها الفِيلُولُوجِيون أنفسهم أثناء دراستهم للقرآن الكريم، والنقد الذي وجهه مستشرقون آخرون لطريقتهم في نقد القرآن.

الثاني: إثبات بطلان الطريقة التي اتبعوها في تبرير كون لغة القرآن، وتباين شكل الآيات في المكي والمدني، واختلاف الموضوع فيهما شواهد على نظرية النشوء والتطور للقرآن الكريم.

**المطلب الأول: نقد المستشرقين للمنهج الفِيلُولُوجِي في دراسة القرآن الكريم:**

ونبدأ بالأربعة الذين كانوا عيّنة على الدراسات الفِيلُولُوجِية للقرآن الكريم، وهم نولدكه، وجولدتسيهر، وموير، وبلاشير.

**أولاً:** اتهام أخطرهم بذلك وهو تيودور نولدكه بأن آثار (الوقاحة الصبيانية) التي وقع بها في تأليف كتابه (تاريخ القرآن) لا يمكن محوها بالكلية حتى بعد قيام تلميذه شفالي[85] بتعديله، وأن ثقته قد انعدمت بقليل أو كثير مما قاله قبل ذلك في هذا الكتاب[86].

---

[80] انظر تاريخ القرآن، نولدكه، مقدمة الكتاب لجورج تامر (XXIV/1).

[81] http://vb.tafsir.net/tafsir4370/#.Vm8e1tJ97IU. مؤلفات حديثة ضد القرآن: مؤلفون وهميون، الباجي تاريخ الاطلاع (2015/1/27).

[82] وقد امتُدحت هذه الدراسة بالقول: "لقد أظهر هذا العمل لجميع مفسري القـــرآن قـــوة المـــنهج العلمـــي للفيلولوجيـــا وقيمتهـــا فـــي إنتـــاج نـــص قرآنـــي أوضـــح". http://vb.tafsir.net/tafsir4370/#.Vm8e1tJ97IU. مؤلفات حديثة ضد القرآن: مؤلفون وهميون، الباجي تاريخ الدخول 2015/1/27.

[83] www.mominoun.com/articles437 التحري الفيلولوجي للمعجم القرآني: القراءة السريانية الآرامية والقراءة اليونانية وجهاً لوجه)، بسام الجمل تاريخ الاطلاع (2015/2/9).

[84] انظر تاريخ القرآن، نولدكه، مقدمة الكتاب للمترجم جورج تامر(XVII/1).

[85] تخرج باللغات الشرقية على نولدكه، وأعاد طبع تاريخ القرآن لنولدكه بعد تحقيقه والتعليق عليه. المستشرقون، العقيقي (410/2).

[86] انظر في مقدمة كتاب تاريخ القرآن، نولدكه (XXXI/1).

**ثانياً:** التناقضات التي تكشف اضطراب الرأي وفساده، فالمستشرق الإنجليزي وليام موير الذي صرّح بأن القرآن يكشف عن مؤلفه حيث قال: "إنّ بعضاً من القطع القرآنية المفرطة في عاطفتها هي على الأرجح من نظم محمد (ﷺ) لنفسه قبل أن يؤمن بفكرة الوحي الموضوعي المطلق"[87]. وهو نفسه الذي يقرّ مخالفاً ادعاءه قائلاً: "إنّ محتويات وترتيب وتنظيم القرآن تدل بشكل حتمي وقوي على صحته، إنّ كل أجزاء القرآن بصحتها وبساطتها مرتبطة مع بعضها، إنّ هذا الخليط – أي سور القرآن– لا يحمل دلائل أنه تصميم لشخص عبقري أو من صنع بشر"[88].

وهذا جولدتسيهر الذي زعم أنّ القرآن هو من وحي النبي النفسي يناقضُ نفسَه، ففي حين قال: "لقد قرر محمد (ﷺ) نفسه أنّ القرآن عمل معجز لا يمكن الإتيان بمثله؛ ولذلك ينظر المؤمنون إليه هذه النظرة، ولا يرون فرقاً بين قيمة العناصر المكونة له، بل يعتبرونها معجزة إلهية حققت بواسطة النبي (ﷺ) ويرونها أكبر معجزة تدل على صدق رسالته الإلهية"[89]. لكنه عاد وناقض نفسه عندما ادّعى عن النبي ﷺ: "ولقد كان مدركاً بإخلاص إدراكاً صحيحاً ضعفه الإنساني، وكان يريد أن يرى فيه المؤمنون رجلاً له عيوب الإنسان، ومن ثمّ كان عمله أعظم من شخصه، ولم يشعر في نفسه أنه قدّيس، ولم يرد أنه يعتبر كذلك... بل كان ضعفه البشري هو ما جعله يأبى أن يكون صاحب المعجزات على أن الزمان والبيئة قد سهّلا له أن تكون له صفة القداسة"[90].

وإذا أردت أن ترى التناقض في أبرز صوره فإنه يظهر في بلاشير، ففي حين أنه امتدح عمل نولدكه، وجعله منهجاً له في نقد القرآن كان في موضع آخر يعلّق على الطريقة التي عالج بها نولدكه، وكذلك وليام موير موضوع دراسة السور القرآنية زمانيّاً على فترات بأنه ترتيب نتج عنه غموض وإبهام في كثير من المواضيع، وتساؤلات حول نقاط هامة قابلة للنقاش[91].

**ثالثاً:** وصف آرثر جفري منهجية نقد الكتاب المقدس– وهي المنهجية التي طبقت بحذافيرها على القرآن فيما بعد– بأنّها "طريقة في البحث كان أصحابها يجمعون الآراء والظنون والأوهام والتصورات؛ ليستنتجوا بالفحص والاكتشاف ما كان مطابقاً للمكان والزمان وظروف الأحوال معتبرين في ذلك المتن دون الإسناد، ويجتهدون في إقامة نص التوراة والإنجيل كما أقيم نص قصائد هوميروس، أو نص رسائل أرسطو الفيلسوف. وهذا ما عارضه (أهل النقل من اليهود والنصارى)، ورأوْا فيه طعناً في الدين، ورموا من قام بهذه الطريقة بالإلحاد والزندقة[92].

**رابعاً:** وصفت دراسات نولدكه وموير وجولدتسيهر وغيرهم للقرآن الكريم، "بالمغالاة في النقد، وأنّ كتبهم التي وضعوها كانت كتب هدم ونفي على وجه الخصوص، وأنّ النتائج التي توصلوا إليها كانت سلبيّة وناقصة"[93].

**خامساً:** المستشرقون الذين أخضعوا القرآن للنقد لم يكونوا على دراية بأسرار الأسلوب القرآني، وبلاغة ألفاظه، وإعجاز معانيه. ويشهد على هذا مُحررو دائرة المعارف الإسلامية حيث علّقُوا على أحدهم وهو ريتشارد بيل[94] صاحب كتاب ( ترجمة القرآن مع إعادة تنظم السور على

(87) The Coran its composition and teaching and the testimony it Bears to the Holy Scriptures, William Muir (pp9).
(88) The life of Mohammad, Muir (pp. XXVI).

(89) العقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر (ص:22).

(90) المرجع السابق (ص:33–34).

(91) نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)، ساسي سالم الحاج (322/1) نقلاً عن Blachere (R.) Le coran. Op. cit.p:18

(92) ابن أبي داؤد، عبدالله، كتاب المصاحف، عبدالله بن أبي داؤد، تحقيق: آرثر جفري (ص:4 وما بعدها) باختصار.

(93) حياة محمد، إميل درمنغهم (ص:11).

(94) مستشرق إنجليزي، وهو من رجال الدين، وكان أستاذاً للغة العربيّة بجامعة أدنبرا، وقد صرف سنين كثيرة في دراسة القرآن وتاريخه، وكان جلّ غرضه في ترجمته للقرآن تحليل السور المتفرقة بوضع قوانين النقد الأدبي لها كما هي الحال في التواليف الغربية للأدب العالي. المستشرقون، العقيقي (93/2–94).

أسس نقدية) بــ: "يبدو أنّ بيل قد تسرع في إصدار أحكامه، ولم يكن ملماً الإلمام الكافي بالصيغ الأدبيّة العربيّة وخصوصاً البلاغة العربيّة التي ما يزال النص القرآني مثلها الأعلى؛ ولذلك لم يكن من تجاهلوه أو هاجموه متجنين عليه"[95].

**سادساً:** مناشدة أحد الباحثين المعاصرين في مجال (الفِيلُولُوجيا) المسلمين بعدم الاعتراف بنتائج الدراسات الفِيلُولُوجيِة على نصوص العهدين القديم؛ لأنه حسب وجهة نظره فإن القبول بها سيؤدي إلى الطعن في القرآن، حيث يقول: "إن كانت قصص إبراهيم وإسحق ويعقوب (عليهم الصلاة والسلام) في التوراة أساطير فتكون كذلك في القرآن.، وإن كانت الكتابة مجهولة زمن موسى (عليه السلام) (1400 قبل الميلاد)، فلم يكن ممكناً لموسى (عليه السلام) ولا لغيره أن يقرأوا الألواح التي حوت من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء، ويكون القرآن موضع انتقاد أصحاب نظرية الوثائق[96]. ويضيف أنّ النقد الذي وجّه للتوراة قد أوصل إلى (فكر مدمّر) أدّى في النهاية إلى القول بأسطورية موسى (عليه السلام)، ورفْضِ أن يكون هناك وحيٌ من الله تعالى لأنبيائه، ثم يقول: "وهكذا يتضح أن إنكار النبوة، وتاريخية شخصية موسى (عليه السلام) يشكل هجوماً على القرآن، كما يشكله على الكتاب المقدس"[97]. ويكرر المناشدة والإلحاح مرّة أخرى عندما يتحدث عن نقد الفِيلُولُوجيين لنص الإنجيل، فيدعو المسلمين لعدم قبول نتائج نقد الإنجيل قائلاً: "إني أدعو قرائي من المسلمين؛ ليفكروا قبل أن يقبلوا أفكار النقاد المتطرفين للإنجيل من أصحاب نقد الصيغة اللغويّة الذين يعتقدون أن تلاميذ المسيح (عليه السلام) كانوا عاجزين عن حفظ أقواله لمدة 30 أو 35 سنة". ثم يعرض حجته في هذه الدعوة، فيزعم: "إنّ صاحب هذه الفكرة سينكر أيضاً أنَّ صدور الحفاظ المسلمين قدرت أن تحفظ آيات القرآن مدّة أربعين سنة منذ أن نزلت السور المكيّة الأولى حتى دوّنتها لجنة عثمان (رضي الله عنه) عام 26هـ. هل يمكن أن يقال عن السور وقتها أنها صارت خرافات غير مؤكدة"[98].

**المطلب الثاني: نقد الفِيلُولُوجيَا في دعوى أنّ لغة القرآن وأسلوبه يدلان على نظرية النشوء والارتقاء فيه:**

وأما نقض ونقد الظاهرة الفِيلُولُوجيِة في اتخاذ اللغة، واختلاف الأسلوب في التعبير عن الموضوع في المكي والمدني كدليل على نظرية النشوء والارتقاء في القرآن الكريم، ورفع صفة القدسية عنه، وإضفاء الصبغة (الإنسانيّة) له، المتأثرة بالكتابيين ومصادرهم- فيمكن نقضها ونقدها من خلال الآتي:

**أولاً:** الخطأ الذي وقع فيه الفِيلُولُوجيون هو تعميمهم ما خرجوا به من نقد الكتاب المقدس وإسقاطه على القرآن الكريم، ومن فيه مُسْكة من عقل لا يقبل أن يُساوى من لا تواتر فضلاً على أنه لا إسناد له، بمن له إسناد متواتر، ويضاف إلى هذا أنهم أرادوا أن يجعلوا للقرآن (تاريخاً) كما هو لكتابهم المقدس، ولكنهم قد أخطأوا هذه المرّة أيضاً "إذ أن الأمر مختلف تماماً بين الكتاب المقدس، والوحي القرآني، فقد حصل التطور التاريخي في الأول بخلاف الثاني، "فالوحي القرآني معروف مدّته وهي ثلاث وعشرون سنة تنزل فيها الوحي على الرسول محمد ﷺ، وبلّغه لأصحابه فحفظوه ودوّنوه، وجُمع بعده، كما حُفظ، ودوّن في حياته"[99]، وأما "التوراة – مثلاً- فإنّ تاريخها يقترب من ثمانمائة عام محصورة بين زمن نزول الوحي على موسى (عليه السلام) في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وزمن إخضاع هذا الوحي للكتابة والتدوين على يد عزرا

---

[95] موجز دائرة المعارف الإسلامية، بريل، أ.ج.- تحرير، م.ت. هوتسماث و.أرنولد ور.باسيت ر.هارتمان (8820/26) بتصرف.

[96] The Quran and the Bible in the light of history and science, William Campell, (pp44)

[97] المرجع السابق (ص:45) بتصرف.

[98] المرجع السابق (ص:56).

[99] حسن، محمد خليفة، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، محمد خليفة حسن (ص:15).

الكاتب[100] في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، وهي فترة طويلة تحوّل فيها الوحي التوراتي من وحي مكتوب إلى روايات شفوية انتهت إلى عملية تحرير وتدوين في القرن الخامس قبل الميلاد، وهذه المدة الطويلة سمحت بكل أنواع التحريف والتبديل شفوياً وكتابياً"[101].

**ثانياً:** ليس من حرج أن يقوم هؤلاء بنقد القرآن الكريم، إذ هو الذي شجّع على النقد عندما أرخى لهم العنان مرات عديدة لمحاولة تحديه، ومعارضته، ولكن لا يجوز النقد إلا عندما تتوافر مستلزماته وشروطه، فهؤلاء الفِيلُولُوجِيون "جمعوا مع جهلهم بأسرار الأسلوب القرآني، وبلاغة اللسان العربي الذي نزل به القرآن اعتمادَهم على الضعيف والمردود من الروايات[102]، والموضوعيّة غائبة عن البحث لديهم، والنقد عندهم؛ لأنهم ينطلقون في دراساتهم من دوافع دينية ونفسيّة بحتة فيحملون النتائج المقررة مسبقاً عليها"[103].

**ثالثاً:** ما لجأوا إليه من منهجية ترتيب السور القرآنية زمانيّاً على فترات كان غرضهم فيه إثبات أنّ "القرآن يتميز بأسلوبين متعارضين في مكة والمدينة، وهذا الاختلاف مرجعه إلى طبيعة وظروف الدعوة المحمدية، ويعتبر انعكاساً للبيئة التي وجد فيها، وهذا ما ينفي عن القرآن صفة الوحي الإلهي؛ لأن النصوص القرآنية تعكس طبيعة وبيئة وظروف كل مكان وزمان"[104]. ومن أوتي حظّاً في تذوق بلاغة أساليب القرآن، وصيغه التعبيريّة يدرك سرّ التنوع في أسلوب عرض الموضوع بين المكي والمدني، "فالقرآن المكي كان يعالج موضوعات متعلقة بالتوحيد والإيمان، والتربية الأخلاقيّة لقوم ورثوا عن آبائهم وأجدادهم تركة وثنية حرّفوا فيها دين إبراهيم عليه السلام، وعارضوا النبي ﷺ، وأما في المدينة فطبيعة الأحداث تحتم أن يكون للقرآن المدني هدف آخر وهو تنظيم شؤون الدولة في جميع مناحي الحياة. فاختلاف الموضوع يستلزم اختلاف الأسلوب، ولكنه اختلاف لم يفقدْ الأسلوبُ القرآني فيه جودتَه في السبك، ورونقَه في النّظم، وحسنَه في الرّصف، فظلّ القرآنُ يجمع بين جمال المبنى، وجمال المعنى في مكيه ومدنيه"[105].

**رابعاً:** حاول المستشرقون الفيلُولُوجيون الاستشهاد بالقرآن نفسه في محاولة منهم لتبرير زعمهم بأن القرآن قد مرّ بمراحل خضع فيها للتحوير والتطوير، وللزيادة والتعديل، ومن أمثلة ذلك ما أراد أن يستدل به جولدتسيهر في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾

---

(100) عزرا اسم عبري معناه (عون) وهو اختصار للاسم (عزريا). لقب بالكاتب إذ أنه كان موظفاً في بلاط امبراطور الفرس (ارتحشستا) ومستشاراً له في شؤون الطائفة اليهودية التي كانت تقيم في ما بين النهرين منذ أيام السبي، واعتبره اليهود المتأخرون عنه عدّة أعصر بعد موسى (عليه السلام) زعيماً لهم، وعدّوه كذلك مؤسس نظم اليهودية المتأخرة أي التي وضعت في القرن الخامس قبل الميلاد ولقبوه بالكاهن وبالكاتب. قاموس الكتاب المقدس، عبدالملك بطرس وآخرون (ص:621).

(101) تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، زالمان شازار (ص:3- 4) باختصار.

(102) يذهب وليام موير إلى حدّ أنه لم يجعل سورة العلق في الفترة الأولى؛ لأنه يزعم أنّ النبي لم يكن يملك هنا تصوراً بعد عن الرسالة الإلهية، بل جعلها في الفترة الثانية التي سمّاها بـــ (استهلال نبوة محمد)، ثم يعلّق عليها قائلاً: "وحسب الأحاديث فإنّها كانت السّورة الأولى نزولاً بعد انقضاء الفترة التي كان فيها الوحي متوقفاً" (The Coran its composition and teaching and the testimony it Bears to the Holy Scriptures, William Muir, (pp28). وهذا تحريف للصحيح من الأحداث، فإنّ الذي نزل بعد فتور الوحي هو الآيات الأولى من سورة المدثر [صحيح البخاري 1875/4: 4641].

والمعيب في الأمر أنّ بعضهم يخرج عن حدود الذوق العلمي، وأدبيّات البحث عند تحريف أحداث الحياة الشخصية للنبي ﷺوربطها بالقرآن، فبلاشير مثلاً يدّعي قائلاً: "لقد تعاهدت عصبة من الناس على زعزعة ثقة محمد بزوجته المفضلة عائشة (رضي الله عنها)، وكان لأحد الظروف أن يجيز الاشتباه في أمانة الزوجة الشابة، لكنما أي تهجم في هذا المحيط المدني على إحدى زوجات محمد (ﷺ) لم يكن يمر دون أن يكون له نتائج خطيرة على الحياة الاجتماعية، فكان ينبغي أن تبرأ عائشة (رضي الله عنها) عن طريق الوحي الإلهي من الشبهة التي تنال من شرفها" القرآن نظمه، تدوينه، ترجمته وتأثيره، بلاشير (ص:82-83)، وانظر، تاريخ القرآن لنولدكه (163/1).

(103) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، فضل حسن عباس (ص:146) بتصرف.

(104) نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية)، ساسي سالم الحاج (365/1).

(105) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، فضل حسن عباس (ص:44) بتصرف.

[الحج: 40]: حيث زعم قائلاً: "لقد كان فيما مضى يعترف –يقصد النبي ﷺ– بأن الصوامعَ والبِيَعَ والصَّلَوات تعتبر أمكنة عبادة حقيقية، لكن الأمر تغيّر بعد هذا، كما صار رهبان المسيحيين وأحبار اليهود موضع مهاجمة منه، وقد كانوا في الواقع أساتذة له"(106).

وسياق الآية الكريمة يدفع زعمه في شهادة القرآن لأماكن عبادات اليهود والنصارى؛ لأن مقصودها في الأساس هو تقرير سنة التدافع الربانية في الأرض، وليس الذي زعمه. فمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ هو"إظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة، ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم، وعلى متعبداتهم فهدموها، ولم يتركوا للنصارى بِيَعَاً، ولا لرهبانهم صوامع، ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد، أو لغلب المشركون من أمّة محمد ﷺ على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين"(107). ثمّ إن الصوامع والبِيَع والصلوات إنّما كانت أماكن يُعبد الله ﷻ فيها قبل "أن يُحرّف أصحابُها كتبَهم التي أنزلها الله تعالى إليهم، وقبل نسخ تلك الملل بالإسلام، فيكون معنى الآية: لولا هذا الدفع لهدم في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصوامع، وفي زمن محمد عليه السلام المساجد"(108).

وأما ادعاؤه الثاني في أن النبي ﷺ قد اتخذ موقف العداء الرهبان والأحبار بعد أن كانوا في الأمس أساتذته، فإنّ النّاظر اللّبيبَ يظهر له تهافت هذا الزعم وبطلانه، فكيف كانوا هم الأساتذة له، وآيات القرآن تقوم بتبكيتهم، وذمّهم، وتظهر انحراف عقيدتهم، وفساد أخلاقهم، فهم الذين نزل فيهم ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: 30-31]، وهم الموصوفون بتحريف كلام الله ﷻ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: 13]

إن لغة القرآن وأسلوبه يشهدان أنه ليس لهذا الكتاب مصدر إلا الله ﷻ، وأن رسول الله ﷺ ليس له دور إلا التلقي والتبليغ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: 15].

**النتائج:**

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

أولاً: تنوّع المناهج البحثية الاستشراقية في دراسة القرآن الكريم لم يترتب عليه اختلاف كبير في النتائج، فهي اختلاف في الآليات، ولكنها اتفاق في معظم النتائج، فالفيلُولُوجيون مثلاً اختلفوا في عدد الفترات التي درسوا فيها السور القرنية زمانيّاً؛ لإثبات دعواهم في تطور نصوصه، ولكنهم لم يختلفوا في نفي الإعجاز عنه، ورفض أن يكون وحياً إلهياً، وإنكار أن يكون محمد ﷺ نبيّاً.

(106) العقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر (ص:20).

(107) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري (160/3).

(108) القرطبي محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي (70/12).

ثانياً: لم يتعامل المستشرقون الفِيلُولُوجيون بموضوعيّة مع القرآن الكريم، بل كانت فكرتهم المسبقة أنّه نص أدبيٌّ؛ ولذلك أسقطوا نتائجهم التي خرجوا بها من نقد الكتاب المقدس عليه.

ثالثاً: ما نقرأه من انتقاد المستشرقين –خاصة الفِيلُولُوجيين– لأنفسهم، أو تناقضاتهم، أو نقدهم لبعضهم البعض يكشف فساد التصورات التي استندوا عليها في نقدهم للقرآن الكريم، وعقم مناهجهم في محاولة النيل من عظمة كتاب الله العزيز.

رابعاً: وجود دعاة جُدد لإحياء الفِيلُولُوجِيا عبر ما يُسمّى بـــ (إعادة قراءة القرآن) سواء أكانوا هؤلاء من الباحثين الغربيين، أم من الحداثيين العرب.

خامساً: لم يقتصر تطبيق الفِيلُولُوجِيا في دراسة القرآن على المستشرقين الذين اتصلت دراستهم بالقرآن الكريم مباشرة، بل طبقت من مستشرقين كانت دراساتهم في السيرة النبوية مثل موير، وفي التأريخ للأدب العربي مثل بروكلمان.

سادساً: معارضة العديد من الدارسين الغربيين قديماً وحديثاً لنهج الفِيلُولُوجِيا في نقد النصوص الدينية لم يكن حبّاً في القرآن الكريم بقدر ما كان امتعاضاً من النتائج التي ظهرت جراء نقد نصوص العهدين القديم والجديد.

سابعاً: اتفاق سائر الدراسات الفِيلُولُوجِية على أنّ العناصر اليهودية والمسيحيّة كانت أحد العوامل التي أثرت في تطور النص القرآني.

ثامناً: تعثر وإفلاس المناهج البحثية الاستشراقيّة وعلى رأسها أخطرها (الفِيلُولُوجِي) من النيل من عظمة القرآن الكريم. ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: 41–42]

تاسعاً: من استقرأ الدراسات الفِيلُولُوجِية سيجد أن التركيز كان منصباً على دراسة لغة القرآن الكريم وأسلوبه في المكي والمدني؛ لإثبات فرضية أن تطورهما إنما كان بتأثير ثقافات وبيئات مختلفة.

عاشراً: أسلوب القرآن الكريم اختلف في التعبير في المكي منه عن المدني تبعاً لطبيعة الموضوع، لكنه كان في كليهما واحداً في جودته البلاغية، وإعجاز نظمه، وهذا يدركه من أوتي حظاً من تذوق البيان.

**التوصيات:**

أولاً: على المؤسسات العلمية الحكومية والخاصة أن تقوم بدورها في الإعداد لمساقات أو مناهج تتضمن في مقرراتها وقوف المتعلمين على الأفكار الاستشراقية التي ما يزال لها دعاة يخرجون بين الحين والآخر مثل موضوع الدراسة (الفِيلُولُوجيا).

ثانياً: إعادة تقييم المراجع الاستشراقية التي أخذت حيزاً كبيراً من الثناء، وتلقت مساحة كبيرة من القبول مع أنها مليئة بالتقريرات الخاطئة عن الإسلام والنبي والقرآن.

ثالثاً: ينبغي أن تنشط حركة الترجمة مع الدراسة النقدية في مجال الكتب الاستشراقية التي تتصل بالقرآن الكريم بشكل مباشر، أو بالقرآن من خلال كتب السيرة أو التاريخ، أو الأدب العربي والتي لا تزال بلغاتها الأمّ مثل حياة محمد لوليام موير.

**المصادر والمراجع:**

* القرآن الكريم

**أولاً: المراجع العربيّة:**

*الاستشراق بين دعاته ومعارضيه.* هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، مقالة الدراسات العربية والإسلاميّة في أوروبا لمكسيم رودنسون، الطبعة الأولى، 1994م.

*إعادة قراءة القرآن.* جاك بيرك، ترجمة وتعليق: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، الطبعة الثانية، 2005م.

*تاريخ الأدب العربي.* ريجيس بلاشير، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، 1984م.

*تاريخ الأدب العربي.* كارل بروكلمان، ترجمة: عبدالحليم النجار، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1959م.

*تاريخ القرآن.* تيودور نولدكه، تعديل: فريديريش شفالي، نقله إلى العربيّة: جورج تامر، مؤسسة كونراود، أدناور– بيروت، الطبعة الأولى، 2004م.

*تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث.* زالمان شازار، ترجمة: أحمد هويدي، تقديم ومراجعة: محمد خليفة حسن أحمد، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، د. ط، 2000م.

*تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكاليّة التقنين والتقديس.* يوسف الكلّام، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 2009م.

*الجامع لأحكام القرآن.* محمد بن أحمد القرطبي، اعتنى به وصححه: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، د. ط، 2003م.

*حياة محمد.* إميل درمنغهم، ترجمة: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1949م.

خليفة، محمد حسن، *دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس.* ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1427هـ/2006.

*دراسات في فقه اللغة.* صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1970م.

*دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين.* محمد الغزالي، دار نهضة مصر، مصر، الطبعة الأولى، د. ت.

*صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر).* البخاري: محمد بن اسماعيل، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير –دار اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1987م.

*العقيدة والشريعة في الإسلام.* اجناس جولدتسيهر، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد يوسف موسى، وعلي حسن عبدالقادر وعبدالعزيز عبدالحق، دار الكتب الحديثة، مصر، مكتبة المثنى، بغداد، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، الطبعة الثانية، د.ت.

*علم اللغة العربية (مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية).* محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1985م.

*علم اللغة.* علي وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة التاسعة، 2004م.

*العلمانيون والقرآن الكريم "تاريخية النص".* أحمد الطعان، مكتبة ودار ابن حزم، الرياض، الطبعة الأولى، 2007م.

*فقه اللغة وسرّ العربيّة.* عبدالملك بن محمد الثعالبي، حققه ورتبه ووضع فهرسه: مصطفى السقا وآخران، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1972م.

*في ظلال القرآن.* سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة عشرة، 1992م.

*قاموس الكتاب المقدس.* عبدالملك بطرس وآخرون، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، الطبعة الثانية، 1971م.

*القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره.* ريجيس بلاشير، نقله إلى العربيّة: رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1974م.

*قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية.* فضل حسن عباس، دار الفتح، عمّان، الطبعة الأولى، 2000م.

*كتاب المصاحف.* عبدالله ابن أبي داؤد، تحقيق: آرثر جفري، المكتبة الرحمانية، مصر، الطبعة الأولى، 1936م.

*الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، 1407هـ.

*المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية*. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، 1982م.

*المستشرقون*. نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، د.ت.

موجز *دائرة المعارف الإسلامية*. أ.ج بريل، تحرير: م. ت. هوتسماث وأرنولد ور. باسيت ر. هارتمان، مراجعة: حسن حبش وآخريْن، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، (د. ط)، 1998م.

*موسوعة المستشرقين*. عبدالرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1993م.

*موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية*. عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة، 2008م.

*موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية*. عبدالمنعم الحفني ، مكتبة مدبولي، مصر، د. ط، د. ت.

*نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)*. ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2002م.

**ثانياً: الكتب الأجنبية:**

Berube, Margery and et al. (editors). *The American Heritage Dictionary.* Fourth Edition, Based on the American Heritage Dictionary of the English Language, Houghton Mifflin Company, Boston, New York, 2001.

Campbell, W. *The Quran and the Bible in the Light of History and Science*. Edition: 2nd, Middle East Resourses, 2002. (http://answering-islam.org/Arabic/Books/Campbell/Science/index.html)

Muir, W. *The Coran its Composition and Teaching and the Testimony it Bears to the Holy Scriptures*. Published under the direction of the tract committee, Society Promoting Christian Knowledge, London, (without date). (http://Muhammedanism.com/Arabic/default.htm)

Muir, W. *The Life of Mohammad From Original Sources.* A new and revised Edition by T. h. Weir, John Grant, Edinburgh, 1912.

Noldeke, T. *The Koran.* Sixteenth Edition, Encyclopedia Britannica's, Great Minds, 1891.

**ثالثاً: مواقع الشبكة العنكبوتيّة (الانترنت):**

الباجي (2005/12/14). *مؤلفات حديثة ضد القرآن: مؤلفون وهميون*. ملتقى الانتصار للقرآن الكريم، تاريخ الاطلاع (2015/1/27)، موقع ملتقى أهل التفسير: (http://vb.tafsir.net/tafsir4370/#.Vm8e1tJ97IU)

الجمل، بسام (2014/4/16). *التحري الفيلولوجي للمعجم القرآني: القراءة السريانية الآرامية والقراءة اليونانية وجهاً لوجه "الدراسات الدينية"*. تاريخ الاطلاع (2015/2/9)، موقع مؤمنون بلا حدود: (www.mominoun.com/articles437)